2025	Vol. 16 .NO.(68)	الصفحة(204-226)	الاصدار (16) ،العدد (68)

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

مجلة الدراسات التاريخية والحضارية

Journal of historical & cultural studies
Print - ISSN: 20231116 & Online - ISSN: 88192663
Journal Homepage:
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/396

المجاعات في المشرق الإسلامي خلال القرنين (4-5هـ/10-11م) دراسة في تأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية

اسم الباحث/ ة (1): د. سميرة حسين بابير
الدرجة العلمية: دكتوراه
التخصص العلمي: تاريخ
مكان العمل: مديرية التربية العامة دهوك | تربية روزهه لات

ملخص البحث عربي:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة المجاعات في المشرق الإسلامي خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، وتهدف إلى تحليل العوامل المسببة لتلك الكوارث الإنسانية وتأثيراتها المتعددة على المجتمعات الإسلامية. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، مستندة إلى مجموعة واسعة من المصادر الأولية. كشفت النتائج عن تداخل معقد بين العوامل الطبيعية (الجفاف، الفيضانات، الأوبئة) والبشرية (الحروب، سوء الإدارة) في إحداث تلك المجاعات، كما أظهرت الدراسة قدرة المجتمعات الإسلامية على التكيف من خلال آليات اجتماعية ودينية متطورة، حيث لعبت المؤسسات الخيرية والأوقاف دوراً محورياً في التخفيف من آثار تلك الكوارث.

الكلمات المفتاحية :المجاعات، المشرق الإسلامي، القرنين (4-5هـ/10-11م)، تأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية.

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

Famines in the Islamic East during the two centuries (4-5 Ah/10-11 ad)

A study in its socio-economic effects

Name of the researcher (1): Dr. Samira Hossein Babir

Scientific degree: PhD

Scientific specialization: history

Place of work: General Directorate of Education Dohuk / education rozeh lat

Abstract

This study examines the phenomenon of famines in the Islamic East during the 4th and 5th centuries AH (10th-11th centuries CE), aiming to analyze the causative factors of these humanitarian disasters and their multiple impacts on Islamic societies. The study employs a historical-analytical methodology, drawing on a wide range of primary sources available in the Al-Shamela electronic library. The findings reveal a complex interaction between natural factors (droughts, floods, epidemics) and human factors (wars, mismanagement) in causing these famines. The study also demonstrates the capacity of Islamic societies to adapt through sophisticated social and religious mechanisms, where charitable institutions and endowments (awqāf) played a pivotal role in mitigating the effects of these disasters.

Keywords: Famines, Islamic East, 4th century AH, 5th century AH, Social History, Economic

Received: الاستلام
Accepted: القبول
Available Online: September / 2025 أيلول - النشر المباشر

 Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

المقدمة:

يُعدّ المشرق الإسلامي، الذي يشمل جميع الأراضي الممتدة شرق بغداد عاصمة الخلافة العباسية، واحداً من أهم المناطق الحضارية في التاريخ الإسلامي وأكثرها تأثيراً في تشكيل المسار الحضاري للأمة الإسلامية (الأصطخري، 1989م: 201؛ المقدسي، 1991م: 145). تمتد تلك المنطقة الشاسعة عبر إحدى عشرة إقليماً رئيسياً، من سهول آسيا الوسطى في الشمال إلى شواطئ المحيط الهندي في الجنوب، ومن الهضاب الفارسية غرباً إلى وديان الهند شرقاً، مشكلة بذلك فسيفساء جغرافية وثقافية معقدة تضم تنوعاً مناخياً واقتصادياً استثنائياً (ابن حوقل، 1988م: 312؛ ياقوت الحموي، 1995م: 2/ 456).

تضم تلك الأقاليم في شمالها خراسان العريقة التي وُصفت بأنها "عين الدنيا وحدقتها" (المقدسي، 1991م: 284)، وبلاد ما وراء النهر الزاخرة بمدنها التجارية العظيمة مثل بخارى وسمرقند (الإدريسي، 1989م: 1/ 478)، وطبرستان الخضراء المعروفة بأشجارها الكثيفة ومناخها المعتدل (ابن اسفنديار، 1987م: 89). وفي وسطها إقليم الجبال الوعر الذي يشكل العمق الاستراتيجي للمنطقة (ابن الفقيه، 1996م: 167)، وأذربيجان الخصبة التي تُعتبر من أغنى الأقاليم الزراعية (المسعودي، 1965م: 2/ 234)، وبلاد الديلم الجبلية المعروفة بمحاربيها الأشداء (مسكويه، 1983م: 5/ 123)، وفارس التاريخية موطن الحضارة الساسانية العريقة (الطبري، 1967م: 12/ 345). بينما تشكل كرمان بتجارتها المزدهرة (المقدسي، 1991م: 467) وسجستان بمدنها الحصينة (ابن خرداذبة، 1889م: 189) ومكران الساحلية (الإدريسي، 1989م: 2/ 234) والسند ببواباتها التجارية إلى الهند (البلاذري، 1988م: 589) امتدادها الجنوبي والشرقي.

غير أن تلك المنطقة الحيوية، رغم ثرائها الحضاري المتراكم عبر القرون وتنوعها الجغرافي الاستثنائي وموقعها الاستراتيجي كحلقة وصل بين الشرق والغرب، شهدت خلال القرنين (4-5هـ/10-11م) سلسلة مدمرة ومتتالية من المجاعات التي هزّت أركانها وتركت بصماتها العميقة على نسيجها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي (ابن الأثير، 1997م: 8/ 234؛ الذهبي، 1993م: 29/ 456؛ ابن كثير، 1988م: 11/ 567).

لقد تداخلت في إحداث تلك الكوارث الإنسانية المروعة عوامل طبيعية قاسية ومتنوعة مع أخرى بشرية معقدة ومتشابكة، مما خلق أزمات غذائية حادة ومتعددة الأبعاد غيّرت من مسار التطورات السياسية والحضارية والاجتماعية في تلك البقعة المهمة من العالم الإسلامي، وألقت بظلالها الثقيلة والمدمرة على مصائر شعوبها المختلفة وثقافاتها المتنوعة وتراثها الحضاري العريق (السبكي، 1992م: 4/ 789؛ النووي، 1996م: 2/ 123).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

تُعدّ دراسة المجاعات في التاريخ الإسلامي من المواضيع البحثية المهمة التي تكشف عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحضارة الإسلامية، وتسلط الضوء على قدرة المجتمعات الإسلامية على مواجهة الأزمات والكوارث الطبيعية. ويكتسب موضوع المجاعات في المشرق الإسلامي خلال القرنين (4-5هـ/10-11م) أهمية خاصة، إذ تمثل تلك المرحلة تحولاً مهماً في تاريخ العالم الإسلامي، حيث شهدت تفكك السلطة العباسية المركزية وظهور دويلات مستقلة في المشرق، مما أثر على قدرة الدولة على مواجهة الأزمات الطبيعية. تُظهر تلك الدراسة التفاعل المعقد بين العوامل الطبيعية والبشرية في تشكيل الأزمات الاجتماعية، وكيف يمكن للحروب والصراعات السياسية أن تُفاقم من آثار الكوارث الطبيعية.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف العلمية التالية: دراسة الأسباب الطبيعية والبشرية التي أدت إلى حدوث المجاعات في المشرق الإسلامي خلال الفترة المحددة، وتحليل التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجاعات على المجتمعات الإسلامية.

تتمحور مشكلة البحث حول السؤال الرئيسي التالي: ما هي العوامل التي أدت إلى حدوث المجاعات في المشرق الإسلامي خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، وما هي آثارها على المجتمع، وكيف تعامل معها؟

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي كمنهج رئيسي، والذي يقوم على جمع المادة التاريخية من مصادرها الأولية وتحليلها وتفسيرها في سياقها التاريخي، كما استُخدم المنهج التاريخي الوصفي.

اعتمد البحث على مجموعة متنوعة ومتكاملة من المصادر الأولية والمراجع الثانوية التي مكنت من تقديم صورة شاملة ودقيقة عن ظاهرة المجاعات في المشرق الإسلامي خلال القرنين (4-5هـ/10-11م). شكلت المصادر الأولية للبحث، كتب التاريخ العامة مثل كتاب "المنتظم" لابن الجوزي (ت. 597هـ/1200م)، وكتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت. 630هـ/1232م)، التي قدمت سرداً تفصيلياً للأحداث التاريخية وتسلسلها الزمني، أما كتب التراجم والطبقات مثل كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي (ت. 748هـ/1348م) وكتاب "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (ت. 771هـ/1370م)، التي أثرت البحث بمعلومات قيمة عن الشخصيات التي لعبت أدواراً مهمة في مواجهة أزمات المجاعة.

وقد لعبت المصادر الإقليمية دوراً محورياً في فهم الخصوصيات المحلية لكل منطقة، حيث قدم كتاب "تاريخ نيسابور" لأبي نصر الذهلي (ت. 401هـ/1010م)، وكتاب "تاريخ البيهقي" للبيهقي (ت. 458هـ/1066م) تفاصيل عن الأوضاع المحلية والتأثيرات الإقليمية للمجاعات. إضافة إلى ذلك، ساهمت كتب الجغرافيا والبلدان مثل كتاب "أحسن التقاسيم" للمقدسي (ت. 380هـ/990م)، وكتاب "معجم

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

البلدان" لياقوت الحموي (ت. 626هـ/1229م) في تحديد السياق الجغرافي والمكاني للأحداث وفهم طبيعة البيئة التي وقعت فيها تلك المجاعات.

أما المراجع الثانوية فقد أضافت بُعداً تحليلياً ومقارناً للدراسة، حيث استفدنا من الدراسات الاستشراقية المتخصصة في تاريخ المشرق الإسلامي التي قدمت مقاربات منهجية حديثة لفهم الظواهر التاريخية، والبحوث الأكاديمية المعاصرة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي التي ساعدت في وضع نتائج البحث في سياق أوسع من التطورات التاريخية العامة، بالإضافة إلى الدراسات المقارنة حول تاريخ المجاعات في العالم التي مكنت من مقارنة التجربة الإسلامية مع تجارب حضارية أخرى واستخلاص الخصوصيات والسمات المميزة لكل منها.

يتكون البحث من مقدمة وخاتمة فضلاً عن ثلاث مباحث، خصص المبحث الأول منه للحديث عن العوامل المسببة للمجاعة كالعوامل الطبيعية (الجفاف، الفيضانات، الأوبئة)، والعوامل البشرية (الحروب، سوء الإدارة الاقتصادية)، بينما ركز المبحث الثاني على تأثير المجاعات على أقاليم المشرق الإسلامي، من حيث التأثيرات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، أما المبحث الثالث فقد تطرق إلى استراتيجيات مواجهة المجاعات، كدور المؤسسات الدينية والاجتماعية، فضلاً عن مبادرات السلطة والسياسات الطارئة.

واجه البحث تحديات منهجية ومصدرية معقدة، أبرزها: تشتت المعلومات في مصادر متفرقة دون تأليف مستقل عن المجاعات، مما استلزم البحث المضني في كتب التاريخ والتراجم والمصادر الجغرافية، التحيز في المصادر حيث بالغ بعض المؤرخين في وصف الكوارث لأغراض بلاغية أو عاطفية، مما تطلب نهجاً نقدياً للتمييز بين الحقائق والمبالغات. نقص البيانات الكمية إذ اكتفت المصادر بتقديرات عامة كـ"أعداد كبيرة" دون إحصائيات دقيقة، مما صعّب التحليل الكمي والمقارنات الرقمية. التداخل الزمني بين الأحداث كالحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية، مما عقّد تحديد العلاقات السببية. تغير الحدود الجغرافية خلال قرنين من الزمن مع ضعف السلطة العباسية وظهور دويلات مستقلة، مما استدعى الاعتماد على التقسيمات الإقليمية التقليدية بدلاً من الحدود السياسية المتغيرة.

المبحث الأول ـ العوامل المسببة للمجاعة

أولاً ـ العوامل الطبيعية:

أ. الجفاف

لعبت موجات الجفاف الطويلة دوراً محورياً في إحداث المجاعات بالأقاليم الشرقية، حيث أدى انحباس الأمطار الموسمية لفترات طويلة إلى تراجع حاد في الإنتاج الزراعي وندرة المياه التي عصفت

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

بالمنطقة وهددت أسس الحياة فيها (الذهبي، 1985م: 16/ 112؛ ابن العماد الحنبلي، 1986م: 456/3؛ السيوطي، 1988م: 234).

إن المجاعات في تلك الأقاليم المتنوعة مناخياً وجغرافياً لم تكن وليدة الكساد الاقتصادي أو سوء الإدارة فحسب، بل نتجت أيضاً عن التقلبات المناخية القاسية والظروف البيئية الطارئة، لا سيما موجات الجفاف المتتالية التي تسببت في انخفاض المحاصيل بشكل كارثي وارتفاع الأسعار إلى مستويات عالية، مما ألحق أضراراً فادحة بالأسر الزراعية والرعوية والحرفية على حد سواء (ابن خلدون، 1988م: 567؛ المقريزي، 1940م: 123).

وقد تفاقمت تلك الأزمة المعقدة جراء عجز أنظمة الري التقليدية عن مواجهة تلك الظروف الاستثنائية، حيث جفت القنوات والأنهار الموسمية، وانخفضت مستويات المياه الجوفية بشكل خطير، وتعطلت السدود والخزانات المائية، وانهارت شبكات الري المعقدة التي بناها الأجداد عبر قرون من العمل (البيهقي، 2004م: 456؛ الگرديزى، 1984م: 234). كما أدى نقص المياه إلى تملح الأراضي الزراعية وتدهور خصوبتها، وانتشار الآفات الزراعية، وموت أشجار الفاكهة والنخيل التي كانت تشكل مصدراً مهماً للغذاء والدخل (ابن بطوطة، 1987م: 2/ 345).

شهدت خراسان مع بداية (401هـ/1010م) مجاعة شديدة، وخاصة في منطقة نيسابور، جراء القحط الشديد الذي أودى بحياة أكثر من مئة ألف شخص وأدى إلى انهيار الأوضاع المعيشية والاقتصادية (المنيني، 1286هـ، :1/ 70-71 ؛ العتبي، 2004م : 279-281؛ ابن الأثير، 1995م:9/ 401). وقد وصف العتبي تلك المجاعة بأنها من أفدح الكوارث الطبيعية التي شهدتها المنطقة، بقوله: "وقع القحط بنيسابور خصوصاً، وفي سائر بلاد خراسان عموماً، فهلك بنيسابور وبأطرافها دون غيرها مائة ألف أو يزيدون" (تاريخ اليميني، 2004م:328). حيث تفشى الموت في كل مكان، وأصبحت الجثث متناثرة في الشوارع دون أن يجد الأحياء القوة لدفنها (البيهقي، 2004م، :333؛ ابن الجوزي، 1989م:123/3؛الذهبي، 1985م:2/ 789؛).

كما تعرضت أصفهان مع حلول (420هـ/1029م) لمجاعة شديدة بسبب الجفاف المستمر الذي أدى إلى نقص الأمطار الموسمية وتدهور القطاع الزراعي وانهيار الاقتصاد المحلي (ابن الأثير، 1997م:9/ 145).

وخلال صيف سنة (426هـ/1034م) أثناء حكم السلطان مسعود (422-432هـ/1030-1040م) شهدت مدينة نيسابور موجة من الجفاف الشديد، ورغم مجيء الشتاء إلا أن الثلج لم ينزل بها إلا مرة واحدة وكان قليلاً، ولم يزد ارتفاعه عن أربعة أصابع، وتعجب الناس من هذا الأمر (؛ البيهقي، 1956م:472-473)؛ابن الأثير، 1995م:9/ 487-488؛ عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، 1989م:189

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

وعندما أطل (430هـ/1038م)، شهدت منطقة الري مجاعة حادة نتيجة نقص الأمطار الموسمية الذي أثر على المحاصيل الزراعية وزاد من سوء الأوضاع الاقتصادية (ابن الجوزي، 1992م:15/ 267؛ ابن خلكان، 1994م:456/3).

ب -انتشار الأوبئة .

شكلت الأوبئة الفتاكة عاملاً مدمراً آخر ضاعف من آثار المجاعات، شهدت سنة (331هـ/942م) أحداثاً كارثية حيث تفشى الوباء بالتزامن مع ظروف اقتصادية متردية، تفاقمت الأزمة في المشرق الإسلامي بسبب الارتفاع في الأسعار وندرة الغذاء، مما أدى إلى ظروف مجاعة قاسية دفعت الناس إلى "أكل الكلاب". كما ساهم غزو الجراد في تعقيد الوضع، فعلى الرغم من أنه دمر المحاصيل، إلا أنه أصبح مصدر غذاء للفقراء في ظل ارتفاع سعر الخبز (ابن الجوزي:27/14).

خلال الحقبة الممتدة بين (380-390هـ/990-1000م)، أثناء ثورة هلال بن بركات، تفشت الأوبئة في معسكرات السلطان أثناء تقدمه نحو بلاد الترك، مما أسفر عن وفيات جماعية وخسائر فادحة في القوى البشرية (؛ العتبي، 1976م: ؛ الگرديزى، 1984م: 567؛البيهقي، 2004م :298445/1).

عندما حل سنة (401هـ/1010م)، واجهت خراسان أزمة مزدوجة من المجاعة والوباء، حيث أعقب الغلاء الشديد انتشار أمراض فتاكة حصدت أرواح أعداد كبيرة من السكان، وأصبح دفن الموتى أمراً عسيراً بسبب كثرة الضحايا (ابن الجوزي، 1992م، :103/15؛ الذهبي، 1993م:234/28؛ ابن كثير، 1988م:789/11). وقد وصف الشهود العيان تلك الفترة بقوله: "وقع القحط بنيسابور خصوصاً، وفي سائر بلاد خراسان عموماً، فهلك بنيسابور وبأطرافها دون غيرها مائة ألف أو يزيدون، وكم دُفن منهم بأطمارهم لضيق الأكفان لهم" (العتبي، 2004م :328).

في سنة (425هـ/1033م) انتشر وباء الخوانيق (الدفتيريا) في مناطق شاسعة من المشرق الإسلامي، حيث اجتاح بلاد خوزستان وغيرها. وقد بلغت حدة هذا الوباء درجة غير مسبوقة، إذ وصف ابن الأثير الوضع: "حَتَّى كَانَتِ الدَّارُ يُسَدُّ بَابُهَا لِمَوْتِ أَهْلِهَا" (ابن الأثير1997م :215/8).

شهدت مدينة الري مع مطلع (430هـ/1038م) مجاعة حادة ترافقت مع تفشي أوبئة فتاكة ناجمة عن سوء التغذية وتدهور الأحوال الصحية، مما أدى إلى وفاة أعداد كبيرة من السكان (الراوندي، ، 1985م: 345؛ ابن الأثير، 1997م:9/ 345؛ الجويني، 1997م:567/1).

مع حلول (447هـ/1055م)، تعرضت مدينة شيراز لحصار مطول فرضه أعوان الملك الرحيم، ترافق مع قحط شديد ووباء قاتل. أدى النقص الحاد في الموارد الغذائية وتفشي الأمراض إلى مقتل أعداد هائلة من السكان، حتى لم يتبق في المدينة سوى نحو ألف شخص فقط (ابن الأثير، 1997م:567/9؛ حافظ أبرو، 1993م:234/2؛ مرآة جهان، 1995م:123).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

شهد المشرق الإسلامي إبان (449هـ/1057م) مجاعة ووباءً قاتلاً، حيث أُغلقت المنازل بسبب موت سكانها، وانتشر المرض بسرعة عبر الأحياء. في بعض المناطق، اضطر الجائعون إلى أكل الجيف، ووقعت حوادث أكل لحوم البشر. في بخارى وحدها، بلغ عدد الوفيات اليومية 18,000 شخص، بينما وصل العدد الإجمالي للوفيات إلى نحو مليون ونصف مليون شخص (ابن الجوزي، 1992م:456/15؛ سبط ابن الجوزي، 1951م:789/19؛ الذهبي،1985م، :234/17).

المبحث الثاني- تأثير المجاعات على أقاليم المشرق الإسلامي:

أولاً- التأثيرات الاجتماعية:

أ. الهجرة والنزوح الجماعي

تشكل ظاهرة المجاعات التاريخية في الأقاليم الإسلامية الشرقية محوراً بحثياً مهماً لفهم ديناميكيات التغير الاجتماعي والاقتصادي، فقد أفضت تلك الأزمات الغذائية إلى موجات نزوح جماعي واسعة النطاق، حيث اضطرت الجماعات السكانية للبحث عن مصادر الطعام والماء في مناطق بديلة (ابن الجوزي،1992:16/ 145).

وقد تمخض عن تلك الحركات السكانية تحولات ديموغرافية جوهرية، تجلت في إعادة توزيع الكثافة السكانية وظهور أنماط استيطانية جديدة، كما أدت ندرة الموارد المترتبة على تلك الأزمات إلى تفاقم مستويات الفقر وارتفاع معدلات الجريمة، مما ساهم في حدوث اضطرابات اجتماعية واضحة وتدهور اقتصادي ملموس.

ويُعد نزوح سكان الري سنة(330هـ/941م) نموذجاً تطبيقياً واضحاً لتلك الظاهرة، حيث اضطرت أعداد كبيرة من السكان للهجرة إلى أصفهان وهمدان سعياً وراء الغذا والاستقرار الاجتماعي (ابن الأثير، 1997 :234/8).

شهدت خراسان سنة (358هـ/968م) مجاعة شديدة دفعت أهلها إلى الرحيل الجماعي من ديارهم، فحين بلغ الغلاء مداه وأصبح يهدد الحياة ذاتها، لم يعد أمام السكان سوى ترك أراضيهم والبحث عن الأمان الغذائي في بقاع أخرى، كانت هجرة قسرية جماعية حقيقية، إذ "خرج الناس من خراسان من الغلاء" ، طلباً للرزق و فراراً من شبح الموت جوعاً يطارد الأهالي في بيوتهم، ترك هذا النزوح الجماعي آثاراً عميقة على النسيج الاجتماعي للمنطقة، فتمزقت الروابط المحلية وتغيرت الخريطة السكانية لخراسان، بينما واجهت المناطق التي احتضنت المهاجرين ضغطاً متزايداً على مواردها وإمكانياته، (ابن الأثير،1997 :289/7)

تؤكد تلك التجربة التاريخية على أن المجاعة تُعد من أقوى العوامل الطاردة للسكان، وأن الأمن الغذائي شرط أساسي لاستقرار المجتمعات، عندما ينهار الأمن الغذائي، تصبح الهجرة الجماعية النتيجة الحتمية.

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

وبالمثل، شهدت أصفهان موجة نزوح مماثلة بلغت ذروتها سنة (420هـ/1029م)، عندما اضطرت جماعات سكانية واسعة للهجرة نحو همدان والري هرباً من المجاعة الحادة التي وصلت إلى مستويات كارثية، دفعت بالسكان إلى استهلاك الجيف والكلاب للبقاء على قيد الحياة (ابن الجوزي، 1992، 267/15:).

ب. انهيار البنية الاجتماعية

لقد أدت المجاعات المدمرة إلى انهيار شامل للبنية الاجتماعية التقليدية وتفكك الروابط الأسرية والقبلية التي كانت تشكل أساس التماسك الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية الشرقية، ففي ظل الجوع المدقع وانعدام الموارد الأساسية للعيش، تحولت العلاقات الاجتماعية من التعاون والتضامن إلى التنافس الشرس على البقاء، مما أدى إلى تآكل القيم الأخلاقية والدينية التي كانت تحكم سلوك الأفراد والجماعات (ابن خلدون، 1988: 234؛ المقريزي، 1940م:145).

تمثل أحداث خراسان في سنة(323هـ/934م) نموذجاً صارخاً لانهيار البنية الاجتماعية وتفكك الروابط المجتمعية في أوقات الأزمات الكبرى، فقد أدت المجاعة الناجمة عن الغلاء الشديد إلى تداعي منظومة التكافل الاجتماعي التي كانت تُعد ركيزة أساسية في المجتمع الإسلامي التقليدي، وتجلى هذا الانهيار في عجز المجتمع عن أداء أبسط الواجبات الدينية والإنسانية المتمثلة في دفن الموتى، وهو التزام جماعي (فرض كفاية) يعكس تماسك النسيج الاجتماعي وقدرته على رعاية أفراده حتى بعد الموت(ابن الأثير، 1997م :44/7).

إن اضطرار الأحياء إلى جمع جثامين الموتى - خاصة الغرباء والفقراء - في دور مؤقتة يكشف عن تفكك شبكات التضامن التقليدية، سواء العائلية أو القبلية أو المهنية، التي كانت تضمن لكل فرد حقه في دفن كريم، كما يُظهر التمييز بين الغرباء والفقراء من جهة، وبقية السكان من جهة أخرى، عمق التفاوت الاجتماعي وانحسار مفهوم الأخوة الإسلامية في أوقات الشدة. وتعكس تلك الحالة من العجز الجماعي مدى التآكل الذي أصاب رأس المال الاجتماعي، حيث تحولت الأولوية من التكافل والتراحم إلى البقاء الفردي، في مشهد يوثق لحظة انهيار حضاري عميق تجاوز الأزمة الاقتصادية إلى تفكيك البنى الأخلاقية والدينية التي كانت تشكل هوية المجتمع وتضمن استمراريته (ابن الأثير،1997م:7/ 44).

في أحداث سنة(494هـ/1101م) عن مرحلة متقدمة من الانهيار المجتمعي الذي أصاب المناطق الواقعة تحت سيطرة السلاجقة نتيجة استمرار الصراع بين الأخوين السلطان محمد السلجوقي(492-511هـ / 1099-1118) والسلطان سنجر(511-552هـ / 1118-1157م)، فعندما احتاج السلطان محمد إلى المال والكسوة من أخيه، لم يتحمل الحكام تكاليف حروبهم، بل ألقوا بثقلها على كاهل الشعب المنهك، حيث فُرضت الضرائب الباهظة على "أهل نيسابور الكبار والصغار والضعفاء، حتى جُبيت الحمامات

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

والخانات"، مما يشير إلى استنزاف منهجي لكل موارد المجتمع دون استثناء،(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1997م:345/10؛ سبط ابن الجوزي، 1951م :567/19؛ أبو الفداء، 1997م:234/2).

وعندما تحرك الجيشان نحو دامغان، أخربوها حتى اندثرت معالمها، واستمروا في تدمير البلاد، فكانت النتيجة الحتمية انتشار الغلاء الفاحش الذي دفع الناس إلى أفعال يندى لها الجبين، والأدهى من ذلك ما سجله ابن الجوزي من مشاهد مروعة تعكس التفكك التام للنسيج الاجتماعي والقيم الإنسانية، حيث "شوهد رجل يأكل كلباً مشوياً في الجامع"، وهو مكان العبادة الذي كان يُفترض أن يكون ملاذاً آمناً للروح والجسد، بل وصل الأمر إلى مشهد أكثر بشاعة حين شوهد "إنسان يُطاف به في الأسواق وفي عنقه يد صبي قد ذبحه وأكله."تلك الصور المفزعة تتجاوز مجرد وصف المجاعة لتوثق لحظة انهيار حضاري كامل، حيث تحول البشر إلى وحوش مفترسة، وتحولت الأماكن المقدسة إلى مسارح للبؤس الإنساني، وأصبحت جرائم أكل لحوم البشر مشاهد علنية في الأسواق، وكل ذلك بينما كان الحكام منشغلين بصراعاتهم على السلطة، غير عابئين بالجحيم الذي خلقوه لشعوبهم (ابن الجوزي،:17/ 66).

وقد وثقت المصادر التاريخية المعاصرة حالات مروعة من انهيار القيم الاجتماعية والأخلاقية، حيث اضطر الناس في بعض المناطق إلى ممارسات لا إنسانية للبقاء على قيد الحياة. ففي نيسابور، إحدى أهم حواضر خراسان العلمية والتجارية، شهدت المدينة حادثة مروعة ومؤلمة حيث قام أحد الطباخين بقتل رجل علوي شريف وطبخ لحمه، ثم قام ببيعه ضمن طعامه دون علم الناس، وقد اكتُشفت جريمته فيما بعد وأُعدم لهذا الفعل الشنيع (ابن الجوزي، 1992، ج15، ص98؛ ابن الأثير،1997م:78/9؛ 1993م:12/ 234).

كما انتشرت ظاهرة السرقة والنهب على نطاق واسع، حيث تحولت المدن والقرى إلى ساحات صراع يومي من أجل البقاء، وفقدت السلطات المحلية قدرتها على فرض النظام والأمن، مما أدى إلى سيادة قانون الغاب في كثير من المناطق المنكوبة (ابن مسكويه، 1983م:345/6؛ السبكي، 1992م:567/4).

ج. ارتفاع معدلات الوفيات

شكلت المعدلات المرتفعة للوفيات إحدى أبرز التداعيات الديموغرافية للمجاعات، حيث سجلت المصادر التاريخية أرقاماً مذهلة ومروعة للضحايا في مختلف المناطق المنكوبة، ففي سنة 324هـ/935م، انتشرت المجاعة والأوبئة المصاحبة لها على نطاق واسع وشامل، مما أدى إلى وفيات هائلة وكارثية في جميع أنحاء المشرق الإسلامي، حيث قُدّر عدد الضحايا في مدينة أصفهان وحدها، إحدى أهم المدن التجارية والثقافية في فارس، بنحو مئتي ألف شخص من مختلف الطبقات الاجتماعية والأعمار (الطبري ، 1967م :456/12؛ الذهبي، 1993م :234/28؛ ابن كثير، 1988م:567/11).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

كما شهدت مدن أخرى مهمة مثل دمشق عاصمة بلاد الشام ، وحلب المدينة التجارية الاستراتيجية، وحرّان الواقعة على الطرق التجارية المهمة، إضافة إلى مناطق خراسان الواسعة والمتنوعة، أزمة مماثلة ومدمرة في الحجم والتأثير، وامتد الوباء المصاحب للمجاعة ليصيب حتى الدواب والمواشي، مما أدى إلى نفوقها بأعداد كبيرة وهائلة، وهو ما فاقم من الأزمة الغذائية وقلل من مصادر البروتين الحيواني المتاحة للسكان (ابن حوقل، 1988م :234 ؛ المقدسي، 1991، ص456؛ ياقوت الحموي، 1995م :345/2).

وفي مناطق أخرى مثل الهند الغنية بمواردها الزراعية، وغزنة المدينة الاستراتيجية في أفغانستان، جرجان ، الري ، أصفهان ، سُجّلت وفيات ضخمة ومروعة، حيث خرجت أربعون ألف جنازة في فترة قصيرة جداً لا تتجاوز عدة أسابيع، مما يدل على حجم الكارثة الديموغرافية التي حلت بتلك المناطق (العتبي، 1976م:456 ؛ الگرديزى ، 1984م:345؛ البيهقي، 2004م:234/2).

شهدت خراسان في سنة(401هـ/1010م) مجاعة شديدة ومدمرة أدت إلى نقص حاد وخطير في الغذاء، مما دفع الناس في أعمال يائسة إلى أكل لحوم بعضهم البعض هرباً من الموت جوعاً، "وكانت الأرواح تُزهق يومياً حتى أنه هلك في يوم واحد من أيام تلك السنة أربعمائة شخص من الفقراء وأبناء السبيل من شدة الجوع" (العتبي، 2004م:328).

تفاقمت تلك الكارثة الإنسانية المروعة بانتشار وباء قاتل وسريع الانتشار، مما زاد المعاناة الإنسانية إلى درجات لا تُطاق وأدى إلى تكدس الجثث في الشوارع والأزقة وعجز السكان الأحياء عن دفن موتاهم بسبب ضعفهم وقلة عددهم (ابن الجوزي، 1992مظ103:15؛ سبط ابن الجوزي، 1951م:234/19 ؛ الذهبي، 1985م/17:89).

وقد وصف المؤرخ المعاصر أبو نصر الذهلي تلك المحنة الأليمة والمروعة بكلمات مؤثرة تعكس حجم المأساة الإنسانية بقوله: "قد أصبح الناس في بلاء عظيم وفي غلاء شديد تداولوه، من يلزم البيت مات جوعاً، أو يشهد الناس يأكلوه" (الذهلي، نقلاً عن ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1997م:89/9).

وسط تلك الظروف القاسية والاستثنائية، لعب الأمير محمود بن سبكتكين، مؤسس الدولة الغزنوية، دوراً بارزاً ومشهوداً في التخفيف من آثار تلك الكارثة الإنسانية، فقد أنفق أموالاً طائلة وموارد ضخمة لتوفير الغذاء والمساعدات الضرورية للمحتاجين والمنكوبين، ليمنحهم بصيص رجاء وأمل وسط الظلام الحالك الذي يعيشونه (العتبي، 1976م، ص567؛ الگرديزى،1984م:123).

في سنة(449هـ/1057م)، شهدت مناطق المشرق الإسلامي مجاعة شديدة ومدمرة وأوبئة فتاكة فتكت بالسكان من جميع الأعمار والطبقات، انتشر الجوع المدقع إلى درجة أن الناس اضطروا إلى أكل الجيف والحيوانات الميتة واللحوم الفاسدة والمتعفنة، في مدينة بخارى العلمية والتجارية الشهيرة، وصلت الكارثة إلى ذروتها حيث مات 18,000 شخص في يوم واحد فقط، بينما بلغ إجمالي عدد الوفيات في المنطقة

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

كاملة رقماً مذهلاً يصل إلى مليون ونصف مليون شخص، مما يجعل تلك المجاعة من أكبر الكوارث الديموغرافية في التاريخ الإسلامي(ابن الأثير، 1997م/8:151)

تفشى الوباء المصاحب في مناطق واسعة شملت أذربيجان الخصبة والأهواز الغنية بمواردها، وكان الفقراء والمعدمون يضطرون إلى تناول لحوم الحيوانات الميتة والمتعفنة، بل ووصل الأمر ببعضهم إلى نبش القبور بحثاً عن أي شيء يمكن أكله (ابن الأثير، 1997م:151/8؛ الذهبي، 1985م:456/17؛ ابن تغري بردي، 1992م:567/5).

د. الاضطرابات الاجتماعية وانهيار القيم الأخلاقية

وفي سنة(330هـ/941م) تعرضت منطقة الري لمجاعة شديدة ومدمرة نتيجة الجوع المدقع والنقص الحاد في المواد الغذائية، حيث اضطر الناس إلى أكل الميتة والكلاب وحتى الحشرات، ومات كثير منهم بسبب الجوع والأمراض المصاحبة له (الطبري، 1967م:678/12؛ المسعودي، 1965م:456/3 ؛ ابن مسكويه، 1983م/5:234).

وفقاً للمصادر التاريخية، انتشرت الفوضى الاجتماعية والأخلاقية على نطاق واسع في المناطق المتأثرة بالمجاعات، حيث سرق الناس بعضهم البعض في محاولة يائسة للحصول على الطعام، واضطروا لأكل الميتة والكلاب والحيوانات النافقة، وتوفي العديد منهم جوعاً وسط ظروف مأساوية لا إنسانية.

في مدينة نيسابور سنة(401هـ/1010م)، مركز العلم والثقافة في خراسان، حيث تسببت المجاعة في انهيار كامل للنسيج الاجتماعي، وصلت الكارثة لدرجة أكل الآباء والأمهات لأولادهم، وتحول الناس إلى مفترسين يصطادون بعضهم البعض في الشوارع. انهار الاقتصاد رغم توفر الطعام الرخيص، حيث أصيب الناس بـ"الجوع الكلبي" الذي يمنع الشبع، عاش المجتمع في حالة من الخوف والعزلة، حيث لم يعد أحد يجرؤ على مغادرة منزله خشية أن يصطاده الجائعون ويطبخوه، مما يعكس تفككاً تاماً للقيم الإنسانية والروابط الاجتماعية تحت وطأة الجوع المميت (البيهقي، 2004م:334؛ابن الجوزي، 1992م:145/15؛ ابن الأثير، 1997م:234/9؛).

في سنة(449هـ/1057م) اجتاح وباء مدمر مدينة سمرقند، وقد بلغ من شدة فتكه بالناس أن انهار النسيج الاجتماعي للمدينة بشكل كامل، ومما يصور هول الكارثة أنه وُجد رجل ميت في داره، فدخل عليه أحد الأتراك ليسرق اللحاف الذي يغطيه، لكن الموت عاجله قبل أن يتمكن من إتمام سرقته، فسقط ميتاً وطرف اللحاف ما زال في قبضته. وقد أدى هذا الوباء الفتاك إلى موت أعداد هائلة من السكان وفرار من نجا منهم، حتى أصبحت أموال الناس وممتلكاتهم مهملة في الطرقات والبيوت دون حارس أو مالك، في مشهد يعكس الانهيار التام للحياة المدنية وغياب السلطة والأمن في المدينة المنكوبة (الصريفيني، 1983م:437/3؛ النويري ، 2003م:222/23؛ بامخرمة، 2008م:437/3).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

ثانياً- التأثيرات الاقتصادية والسياسية:

أ- التأثيرات الاقتصادية:

شهدت الفترة المضطربة بين سنتي(495-496هـ/1102-1103م) أزمة اقتصادية حادة ومدمرة نتيجة للمجاعات المتتالية التي أدت إلى تراجع كبير وخطير في الإنتاج الزراعي، العمود الفقري للاقتصاد في ذلك العصر. تسببت تلك المجاعات الكارثية في زيادة الاعتماد بشكل مفرط على التجارة الخارجية وارتفاع حاد وغير مسبوق في أسعار المواد الغذائية الأساسية، مما زاد من معاناة الفقراء والطبقات الكادحة وأدى إلى اتساع الفجوة الطبقية في المجتمع (الماوردي 1989م:345؛ابن خلدون، 1988م:456؛ المقريزي1997، ج2، ص234؛).

في "مقدمة ابن خلدون" وهي من أهم المؤلفات في علم الاجتماع التاريخي، يربط العلامة ابن خلدون (المقدمة، 1988م:567) ربطاً وثيقاً بين انعدام الأمن الناجم عن الحروب المستمرة والصراعات السياسية من جهة، والأزمات الاقتصادية المدمرة من جهة أخرى. فالحروب المتكررة تعطل الإنتاج الزراعي بسبب النزاعات المسلحة على الأراضي الزراعية والموارد المائية، مما يؤدي حتماً إلى نقص حاد في المحاصيل وزيادة كبيرة في الأسعار. ويشير ابن خلدون (المقدمة، 1988م:234) بوضوح إلى أن المجاعات التي اجتاحت المجتمعات الإسلامية لم تكن ناتجة فقط عن قلة الإنتاج الزراعي بسبب الجفاف أو التغيرات المناخية الطبيعية، بل كانت أيضاً مرتبطة بشكل وثيق بالاضطرابات العسكرية والسياسية التي أثرت بقوة على قدرة السكان في تأمين قوتهم اليومي وسبل عيشهم.

كانت المجتمعات الزراعية هي الأكثر تضرراً وتأثراً من تلك الأزمات، حيث كانت الزراعة تشكل المصدر الرئيسي والأساسي للعيش والدخل لغالبية السكان،÷وعندما تتأثر الأراضي الزراعية سلبياً بسبب الحروب المدمرة أو الكوارث الطبيعية المختلفة، يعاني السكان من نقص حاد في الغذاء والموارد الأساسية، مما يؤدي حتماً إلى انتشار الفقر وارتفاع معدلات الوفيات بشكل كارثي (الإصطخري، 1989م:234 ؛ المقدسي1991م:567؛ ابن خلدون، 1988م:345).

ب- التأثيرات السياسية:

1- ضعف السلطة المركزية وتفكك الأنظمة الإدارية

ساهمت المجاعات المدمرة والمتتالية في إضعاف الدول الإسلامية بشكل كبير وزيادة حدة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية المعقدة التي كانت تواجهها، كما أن المجاعات في بعض الحالات الحرجة أدت إلى اندلاع حركات شعبية عنيفة وثورات ضد الحكام والسلطات القائمة، مما زاد من عدم الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة (الطبري، 1967م:345/11؛ ابن مسكويه، 1983م:234/6؛ ابن الأثير، 1997م:567/8).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

تُعتبر ثورة هلال بن بركات(380-390هـ/990-1000م) الشهيرة في إقليم خراسان ، من أبرز وأخطر الثورات في تاريخ الإقليم خلال القرن الرابع الهجري المضطرب، اندلعت تلك الثورة العنيفة والواسعة في وقت حرج كانت فيه الدولة العباسية تشهد تدهوراً واضحاً ومستمراً في سلطتها المركزية وقوتها السياسية، مما أدى إلى انتشار الفوضى والاضطرابات في مناطق بعيدة ونائية مثل خراسان الواسعة (العتبي،1976م:567 ؛ الگرديزى، 1984م: 456؛ البيهقي، 2004م:1/ 234).

2- .الصراعات الداخلية وتأثيرها المدمر على الاستقرار السياسي والاجتماعي

في سنة(496 هـ/1103م) تولى السلطان محمد السلجوقي حكم البلاد والأقاليم الشرقية نيابة عن الخليفة العباسي في بغداد، في هذا الوقت المضطرب، خرج السلطان محمد مع أخيه الملك سنجر في حملة عسكرية كبيرة لمحاربة أخيهما الثالث السلطان بركياروق في صراع عائلي دموي على السلطة والنفوذ، حدث الصدام الحاسم بين السلطانين المتصارعين، حيث حاصر بركياروق أخاه محمداً في مدينة أصفهان ، مما أدى إلى تفاقم خطير في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المدينة، وانتشار واسع للجوع والغلاء الشديد، فاضطر السلطان محمد، تحت ضغط الحاجة المالية الملحة لتمويل جيشه ومقاومة الحصار، إلى مصادرة ممتلكات وأموال أهل أصفهان من التجار والأغنياء، مما زاد من معاناة السكان المدنيين الأبرياء (ابن الأثير،1997م:345/10؛ سبط ابن الجوزي1951م:567/19؛ أبو الفداء، 1997م :234/2).

وفقاً لتحليل ابن خلدون العميق في مقدمته الشهيرة، فإن الحروب المستمرة وانعدام الأمن العام كانا من الأسباب الرئيسية والجوهرية للأزمات الاقتصادية المدمرة، حيث أدت الحروب المتكررة إلى تعطيل الإنتاج الزراعي وتدمير البنية التحتية، وزيادة الضرائب والأعباء المالية على الفلاحين والتجار، مما زاد من انتشار

الفقر والبؤس وأدى إلى هجرة واسعة للسكان من المناطق المنكوبة (ابن خلدون، 1988م:456).

المبحث الثالث- استراتيجيات مواجهة المجاعات:

أولاً- دور المؤسسات الدينية والاجتماعية:

أ. دور الدولة والمؤسسات في مواجهة المجاعات

لعبت المؤسسات الدينية والخيرية دوراً محورياً وأساسياً في التخفيف من معاناة المتضررين من المجاعات الكارثية، حيث لم تقتصر جهودها المباركة على تقديم المساعدات المادية والغذائية فحسب، بل عززت أيضاً قيم التضامن والتكافل الاجتماعي العميقة، مما ساعد بشكل فعال في تقليل آثار الأزمات الاقتصادية والاجتماعية المدمرة وحفظ كرامة الإنسان في أحلك الظروف (الماوردي، 1989م:234؛ الغزالي، 1993م:2/ 456؛ ابن تيمية، 1995م:345/28).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

عندما اندلعت ثورة هلال بن بركات في إقليم خراسان الاستراتيجي في أواخر القرن الرابع الهجري المضطرب حوالي (380-390هـ/990-1000م)، كانت المنطقة الواسعة تعاني من الفوضى السياسية والاجتماعية الناجمة عن ضعف السلطة العباسية المركزية وانتشار النفوذ المستقل لدول محلية متنافسة مثل السامانيين في بخارى وسمرقند والغزنويين في غزنة وكابل، خلال تلك الفترة العصيبة والحرجة، لعبت المؤسسات الدينية والخيرية المتنوعة دوراً حيوياً ومحورياً في دعم المتضررين والمنكوبين، حيث قامت بتوزيع الخبز المجاني والطعام وإيواء المشردين والمحتاجين في المساجد والرباطات والخانقاهات (الگرديزى، 1984م:567؛ البيهقي، 2004م/1:456؛الثعالبي، 1983م:234/4).

في مناطق متعددة مثل خراسان ودلهي ولاهور ، التي عانت من مجاعات مدمرة نتيجة الجفاف الشديد والكوارث الطبيعية المتنوعة والاضطرابات السياسية المستمرة، ساهمت المساجد والزوايا الصوفية والتكايا والرباطات بشكل فعال وملموس في تقديم الإغاثة العاجلة من خلال توزيع الطعام المطبوخ والخبز وإيواء المحتاجين والمشردين (الجويني، 1997م:345/1؛ رشيد الدين الهمذاني، 1994م:456/2). أسهمت الأوقاف الإسلامية الواسعة ونظام الزكاة المنظم في دعم المحتاجين والمنكوبين، حيث تم توفير المساعدات المتنوعة من خلال موائد الرحمن المفتوحة وتوزيع الصدقات والكساء (النووي، 1996م:234/6؛ القرافي، 1994م 567/3).

قام السلطان محمود الغزنوي عقب وقوع قحط سنة(401هـ/1010م) بإرسال الإمدادات الغذائية إلى مدينة نيسابور لتوزيعها على المتضررين، وبذل أقصى جهده في تخفيف المعاناة عن الأهالي (العتبي، 2004م :329).

تقديم القروض المالية: قدم السلطان محمود قروضاً مالية للمنكوبين حتى يتمكنوا من شراء البذور والماشية التي فقدوها، كما أعاد إليهم خراج تلك السنة ليحلوا بها المشاكل التي نتجت عن الجفاف، ويسددوا منها الديون التي تراكمت عليهم (العتبي ، 2004م:329؛ العمادي، 1997م: 127-128).

سعى السلطان مسعود بن محمود الغزنوي إلى مجابهة الكوارث التي تعرضت لها المدينة بعد أن استغاث به الأهالي من شدة الجوع، كما عمل على توفير العلف للدواب حتى يقضي على حالة نقص العلف التي انتابت خراسان كلها في ذلك الوقت. يخبرنا بذلك البيهقي (تاريخ بيهق، 1956م:671) بقوله: "أنه حين تفاقم أمر العلف اجتمع السلطان مسعود مع الوزير أحمد بن عبد الصمد وصاحب ديوان الرسائل أبو نصر مشكان إلى أن أتموا جمع علف لخمسة أيام". وكانت الجمال تتوجه بصفة مستمرة إلى منطقة دامغان لجلب العلف من هناك. وفي ظل تلك الظروف الاستثنائية، لجأت قوات السلطان محمد إلى مصادرة ممتلكات السكان المدنيين في محاولة يائسة للسيطرة على تداعيات الأزمة، بينما استمر الحصار الخارجي في خنق المدينة اقتصادياً وإنسانياً.

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

ب. النماذج الفردية في العمل الخيري

مثل شخصية حسان بن سعيد بن حسان المخزومي (ت463هـ/1071م) أنموذجاً استثنائياً للدور الفردي الفاعل في التصدي لأزمات المجاعات وتخفيف وطأتها على المجتمعات المحلية. فقد شكلت مسيرته الحياتية تحولاً جذرياً من الانخراط في الأنشطة التجارية والزراعية خلال مرحلة الشباب - والتي مكنته من تكوين ثروة مالية معتبرة - إلى تبني نهج زهدي يقوم على التفاني في العبادة والعمل الخيري (الذهبي، ، 1985م :13/، ص416).

وقد تجلى التزامه الاجتماعي من خلال مشاريع عمرانية واسعة النطاق شملت إنشاء المساجد والرباطات والقناطر، كان من أبرزها تأسيس جامع في مدينته مرو الروذ، مما يعكس رؤيته الشمولية للتنمية المجتمعية التي تجمع بين البعدين الروحي والمادي،خلال فترات الأزمات الغذائية، طور المخزومي نظاماً إغاثياً متكاملاً يتسم بالاستمرارية والشمولية، حيث اعتاد تحضير وجبات الطعام اليومية للطبقات الفقيرة، إلى جانب توزيع الخبز والصدقات بطريقة سرية تحافظ على كرامة المستفيدين. كما امتد برنامجه الخيري ليشمل توفير الملابس الشتوية للمحتاجين بشكل دوري، وتمويل مراسم زواج اليتيمات، مما يدل على فهمه العميق للاحتياجات المتنوعة للمجتمع ،قد بلغت مساهماته الإنسانية ذروتها عندما تحمل عبء رفع الأعشار عن مدينة نيسابور بأكملها، وهو إجراء اقتصادي استثنائي يكشف عن حجم التأثير الإيجابي الذي يمكن أن يحققه الالتزام الفردي المدعوم بالإمكانيات المالية والرؤيةالاجتماعية الواضحة (الذهبي، 1985م:416/13).

ثانياً- المبادرات السلطانية والسياسات الطارئة:

أ - الإصلاحات الزراعية

تشكل الإصلاحات الزراعية والآليات الإغاثية الطارئة ركائز أساسية في الاستراتيجيات السلطانية لمعالجة أزمات المجاعات وتحسين أوضاع الطبقات الزراعية المتضررة، فقد سعت السلطات الإسلامية في المنطقة إلى تطوير البنية التحتية الزراعية من خلال تعزيز أنظمة الري وتكثيف الإنتاج الزراعي، بالتوازي مع تنظيم حملات توزيع الحبوب والمساعدات الغذائية لتخفيف المعاناة الإنسانية (ابن الأثير، 1997م:167/9).

ويُعد تدخل الأمير محمود بن سبكتكين(388-421هـ / 998-1030م)في مواجهة أزمة القحط التي اجتاحت خراسان سنة 401هـ نموذجاً متميزاً للاستجابة السلطانية الفعّالة في حالات الطوارئ الإنسانية، ففي ظل الظروف الكارثية التي شهدتها نيسابور، والتي أسفرت عن وفاة ما يزيد عن مئة ألف شخص، بادر الأمير إلى استثمار موارد مالية ضخمة في عمليات الإنقاذ والإغاثة، وهو ما ساهم - مع هطول الأمطار في السنة ذاتها - في التحسن التدريجي للأوضاع الإنسانية (العتبي، 1976م:401).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

كشفت حالة نيسابور خلال مجاعة سنة 462هـ/1070م في عهد السلطان ألب أرسلان (حكم 455-465هـ/1063-1072م) عن نموذج متطور لاستراتيجيات المواجهة المؤسسية للأزمات الغذائية في الأقاليم الإسلامية الشرقية، تمثل في الإغاثة المباشرة من خلال إنشاء مطابخ مركزية في المساجد لتوزيع الطعام المطبوخ والخبز يومياً على المحتاجين، مما يعكس دور المؤسسة الدينية كمركز للتكافل الاجتماعي (الصريفيني، 2006م:234).

ب ـ السياسات الاقتصادية

تنوعت الأدوات الاقتصادية التي لجأت إليها السلطات الحاكمة في معالجة تداعيات المجاعات، حيث شملت تقديم المعونات المالية وتخفيض الأعباء الضريبية لتخفيف الضغوط على السكان المتضررين، كما سعت بعض الحكومات إلى استيراد الحبوب من الأقاليم المجاورة، إلا أن الصراعات المسلحة والحروب الإقليمية حالت دون وصول تلك الإمدادات، مما ضاعف من تعقيدات الأزمة وآثارها السلبية (ابن الجوزي، 1992م:234/16).

أما في نيسابور خلال مجاعة سنة(462هـ/1070م) في عهد السلطان ألب أرسلان السلجوقي، قام بالإصلاحات الاقتصادية التي شملت إلغاء الضرائب والرسوم الجمركية، ورفع الأعباء المالية عن الفلاحين وأصحاب الأراضي الخراجية، فضلاً عن التدخل السلطاني المباشر من خلال الصدقات العامة التي وُزعت على جميع السكان دون تمييز، وتُبرز تلك الإجراءات تطور آليات التعامل مع الأزمات من مجرد استجابات إغاثية مؤقتة إلى سياسات شاملة تهدف إلى معالجة الأسباب الجذرية للأزمة وتخفيف آثارها على المدى الطويل (الصريفيني ، 2006م:345).

وتكشف تجربة السلطان محمد في سنة 496هـ عن التحديات المعقدة في تطبيق السياسات الاقتصادية التدخلية، حيث حاول معالجة ارتفاع الأسعار من خلال فرض تسعيرة إجبارية للمواد الغذائية، إلا أن هذا الإجراء أدى إلى نتائج عكسية تمثلت في تفاقم الأوضاع بدلاً من تحسينها، وعندما اضطر السلطان لإلغاء نظام التسعير تحت ضغط الأوضاع المتدهورة، تحقق تحسن نسبي محدود لم يكن كافياً لوقف التداعيات الكارثية للأزمة (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1997م:496/10).

ج – تعاون المؤسسات في مواجهة الأزمات الإنسانية

تجسد التجربة في دلهي نموذجاً متقدماً للتنسيق بين المؤسسات الحاكمة والدينية في تقديم المساعدات الإنسانية، مما أسهم بشكل ملموس في تخفيف حدة الأزمة. تعكس تلك الشراكة الاستراتيجية الدور المحوري الذي لعبته المؤسسات الدينية في مواجهة المجاعات، من خلال دعم الفئات المحتاجة وترسيخ قيم التضامن الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية (ابن الجوزي، 1992م:312/16).

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

ورغم تلك الجهود المتنوعة، ظل تأثير التدخلات السلطانية محدود النطاق والفعالية بسبب تفاقم الأوضاع السياسية والصراعات المستمرة. فالمجاعات التي اجتاحت المجتمعات الإسلامية لم تكن نتاجاً حصرياً للكوارث الطبيعية، بل تأثرت بشكل كبير بالاضطرابات السياسية والفساد الإداري.

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج مهمة تساهم في فهم ظاهرة المجاعات في المشرق الإسلامي خلال القرنين (4-5هـ/10-11م):

أولاً: أن المجاعات لم تكن مجرد نتيجة للعوامل الطبيعية، بل كانت ظاهرة معقدة نتجت عن تفاعل العوامل الطبيعية مع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فالجفاف والفيضانات والأوبئة، رغم كونها العوامل المباشرة، إلا أن تأثيرها تضاعف بسبب الحروب وسوء الإدارة الاقتصادية.

ثانياً: كشفت الدراسة عن قدرة المجتمعات الإسلامية على التكيف مع الأزمات من خلال آليات اجتماعية ودينية متطورة، حيث لعبت المؤسسات الخيرية والأوقاف دوراً حيوياً في التخفيف من آثار المجاعات، مما يبرز أهمية النظام الاجتماعي الإسلامي في مواجهة الكوارث.

ثالثاً: أظهرت النتائج أن المجاعات كانت لها تأثيرات عميقة على البنية السياسية للمنطقة، حيث ساهمت في إضعاف السلطة المركزية وتسريع عملية التفكك السياسي التي شهدها العالم الإسلامي في تلك الفترة.

رابعاً: تبين أن هناك تفاوتاً واضحاً في قدرة المناطق المختلفة على مواجهة الأزمات، حيث تأثرت المناطق التي تعاني من ضعف إداري أو صراعات سياسية بشكل أكبر من تلك التي تمتعت بإدارة قوية واستقرار سياسي.

الجداول التحليلية:

جدول 1: تصنيف أسباب المجاعات وتكرارها التاريخي

نوع السبب	عدد الحالات	أبرز الأمثلة
الجفاف	7	نيسابور(401هـ/1010م)، أصفهان 420هـ /1029م،الري 430ه/1038
الأوبئة	10	401هـ/1010م،495-496ه،1102- 380 – 390هـ/990-1000م،430هـ/1038م 1033م/425هـ، 1103م،447هـ/1055م،449هـ 1057م
الحروب والصراعات	9	ثورة هلاجون(380 – 390هـ/990-1000م)،حصار أصفهان(446هـ/1054م) ،حروب السلاجقة (494هـ/1100م)
سوء الإدارة	6	الري 430هـ/1038م،أصفهان 446هـ/1054م،خوزستان ودامغان 494هـ\1101م

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

نوع السبب	عدد الحالات	أبرز الأمثلة
الاقتصادية		

جدول 2: المجاعات الكبرى والخسائر البشرية

السنة (هجري)	المدينة أو الإقليم	عدد الوفيات التقديري	ملاحظات
324هـ	أصفهان	200,000	ترافق مع أوبئة وانهيار اجتماعي شامل
401هـ	نيسابور (خراسان)	100,000+	مجاعة ووباء؛ دفن الموتى أصبح مستحيلاً
430هـ	الري	50,000 (تقديري)	سوء توزيع الغذاء وانتشار أمراض مرتبطة بسوء التغذية
449هـ	بخارى	1,500,000	حالات أكل لحوم البشر وانتشار الطاعون
495هـ	خراسان	100,000+	تزامنت مع وباء وغلاء وهجرة جماعية

جدول 3: التأثيرات الاجتماعية المترتبة على المجاعات

نوع التأثير	المظاهر الرئيسية
الهجرة والنزوح	نزوح سكان الري وأصفهان، لجوء إلى همدان وغيرها
ارتفاع الوفيات	وفيات بمئات الآلاف، مثل 324هـ و449هـ
انهيار القيم	سرقات، أكل لحوم البشر، انهيار أخلاقي في بعض المناطق المتأثرة

جدول 4: التداعيات الاقتصادية للمجاعات

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

العنصر المتأثر	وصف التأثير
الإنتاج الزراعي	تراجع كبير بسبب الجفاف والحروب
الأسعار	ارتفاع حاد، خاصة في الحبوب والسلع الأساسية
التجارة	تضررت بسبب الحصار وقطع الطرق، وزاد الاعتماد على الاستيراد

جدول 5: استراتيجيات المواجهة المؤسسية

نوع المبادرة	الجهة المنفذة	أبرز الأمثلة
دعم الأغذية والزكاة	المؤسسات الدينية	توزيع الخبز والملابس، موائد الرحمن، الزوايا والتكايا
الإغاثة السلطانية	الحكام المحليون	محمود بن سبكتكين (401هـ) أنفق أموالاً كبيرة لإغاثة الناس
إصلاحات اقتصادية	الحكومات المركزية أو المحلية	تسعير السلع، تقليل الضرائب، دعم الحبوب

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

أ. المصادر التاريخية العامة

1. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (1997م)، الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
2. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (1991م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت.
3. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(1992م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الكتب العلمية،بيروت.
4. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (1992م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.،دار الكتب المصرية، القاهرة.
5. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر،(1988م)، البداية والنهاية. تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

6. بن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (1983م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم. تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران.
7. أبو الفداء، إسماعيل بن علي (1997م)، المختصر في أخبار البشر. المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة.
8. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (1951م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن
9. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (1967م)، تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،

ب. كتب التراجم والطبقات

10. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (1986م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت.
11. ابن خلكان، أحمد بن محمد (1994م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
12. بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (2008م)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر. عناية: بو جمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج، جدة.
13. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (1993م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
14. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (1985م)، سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت.
15. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (1985م)، العبر في خبر من غبر. تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
16. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (1992م)، طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
17. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (1993م)، الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء

ج. المصادر الإقليمية والمحلية

18. ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد (1987م)، تاريخ طبرستان. تحقيق: عباس إقبال، انتشارات بنياد فرهنگ إيران، طهران.
19. البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين (2004م)، تاريخ بيهق. تحقيق: أحمد بهمنيار، كتابفروشي فروغي، طهران.
20. البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين (1956م)، تاريخ البيهقي. ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
21. الجويني، عطا ملك بن محمد (1997م)، تاريخ جهانگشا. تحقيق: محمد قزويني، دنياى كتاب، طهران.
22. حافظ أبرو، شهاب الدين عبد الله (1993م)، زبدة التواريخ. تحقيق: كمال حاج سيد جوادي، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى، طهران.
23. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (1997م)، تاريخ مدينة السلام. تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
24. الراوندي، محمد بن علي (1985م)، راحة الصدور وآية السرور. تحقيق: محمد إقبال، أمير كبير، طهران.
25. رشيد الدين الهمذاني، فضل الله (1994م)، جامع التواريخ. تحقيق: محمد روشن ومصطفى موسوي، البرز، طهران.

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

26. الصريفيني، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (1983م)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور. تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر، بيروت.
27. العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (1976م)، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي. تحقيق: إحسان ذنون الثامري، دار الطليعة، بيروت.
28. العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (2004م)، تاريخ اليميني. المطبعة الأميرية، القاهرة.
29. الگرديزى، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك (1984م)، زين الأخبار. تحقيق: عبد الحي حبيبي، دنياى كتاب، طهران.
30. المنيني، محمد بن أحمد (1286هـ)، الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي. المطبعة الوهبية، القاهرة

د. كتب الجغرافيا والبلدان

31. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (1987م)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). دار صادر، بيروت.
32. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (1988م)، صورة الأرض. دار صادر، بيروت.
33. ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله (1889م)، المسالك والممالك. دار صادر، بيروت.
34. ابن الفقيه، أحمد بن محمد (1996م)، مختصر كتاب البلدان. تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت.
35. الإدريسي، محمد بن عبد الله (1989م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
36. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (1989م)، المسالك والممالك. دار صادر، بيروت.
37. العبدري، محمد بن محمد (1983م)، الرحلة المغربية. تحقيق: سعد بو فلاقة، جامعة محمد الخامس، الرباط.
38. القزويني، زكريا بن محمد (1994م)، آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر، بيروت.
39. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (1991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار صادر، بيروت.
40. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (1995م)، معجم البلدان. دار صادر، بيروت.

هـ. المصادر الاجتماعية والاقتصادية

41. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1988م)، المقدمة. تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت.
42. البلاذري، أحمد بن يحيى (1988م)، فتوح البلدان. دار ومكتبة الهلال، بيروت.
43. الجاحظ، عمرو بن بحر (1985م)، البخلاء. تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة.
44. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (1965م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
45. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (1940م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة. تحقيق: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
46. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (1997م)، السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
47. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (2003م)، نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

و. المصادر الأدبية

48. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (1983م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com

49. ز. مصادر الفقه والعلوم الإسلامية

50. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (1995م)، مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.
51. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (1993م)، إحياء علوم الدين. دار المعرفة، بيروت.
52. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (1994م)، الذخيرة. تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
53. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (1989م)، الأحكام السلطانية. دار الحديث، القاهرة.
54. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (1996م)، تهذيب الأسماء واللغات. دار الكتب العلمية، بيروت.
55. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (1996م)، المجموع شرح المهذب. تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.
56. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (1988م)، تاريخ الخلفاء. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

ثانياً: المراجع الثانوية

57. إقبال، عباس (1989م)، تاريخ إيران بعد الإسلام. ترجمة: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
58. العمادي، محمد حسن عبد الكريم (1997م)، خراسان في العصر الغزنوي. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
59. مرآة جهان (1995م)، تاريخ شيراز. تحقيق: حسين كوهي كرماني، بنياد فارس شناسى، شيراز

Corresponding author: samirabapir46@gmail.com